

العالم الأخرى، بشكل الأدب الروائي تكتيكاً تعليمياً فاعلاً، ويظهر أمثلة واضحة عن التأثير الثقافي في الموضوعات الإنسانية المشتركة.

مراقبة الممارسين

مراقبة الآخرين طريقة مفيدة لتعلم المزيد عن سلوكهم، وقد تتيح لك فرصة أفضل لتفهم ردود أفعالك تجاهها. راقب طائفة واسعة ومتنوعة من الناس حولك، وسوف تتعلم أشياء كثيرة عن الحاجة إلى الفضاء الشخصي، أو المعتقدات الشائعة حول استخدام الفضاء العام، وما إذا كان الآخرون يقضون أوقاتاً طويلة في الترتبة على موائد الطعام، وما هي مظاهر سلوكهم التي تزعجك أو قد تدفعك إلى تبني سلوك سلبي تجاههم. كلما ازدادت معرفتك بالآخرين وبنفسك عبر هذه التجارب، أصبحت أكثر قابلية للتكيف الثقافي، لأنك تتفهم بواعث سلوكك وسلوك الآخرين بشكل أفضل، وتستطيع بالتالي تغيير ردود أفعالك.

ما هو القاسم المشترك بين كل هذه الاقتراحات؟ إنها جميعاً تلزمك بالتفكير والعمل خارج إطار المنطقة الثقافية التي ترتاح وتزوي فيها. بالطبع، الانخراط في مثل تلك النشاطات لا يضمن نجاح عملية التكيف الثقافي، لكن استخدام المزيد من هذه الأساليب يضاعف قدرتك على استبطان وتطوير طرق جديدة للعمل والتفكير.

جرب التفاعلات عبر الثقافية وتعلم منها

هل حدث يوماً شيء طريف أو محرج أو غريب نتيجة سوء الفهم الثقافي، كأن تخطئ في طلب الوجبة لأنك لم تفهم لائحة الطعام، أو تستخدم لفظة عامية غير مقبولة لأنك لم تعرف الفروقات الدقيقة وأطياف معاني بعض

الكلمات في لغة أجنبية؟ كلنا تقريباً يتذكر حالات مشابهة، وهذه التجارب الشخصية بحد ذاتها فرص تعلم نادرة وغنية، لأن الاختلافات الثقافية فيها جلية لدرجة أنك تتذكرها بوضوح وتعرف ردة فعلك تجاهها (لعلك ضحكت على الخطأ الذي ارتكبه أو ربما شعرت بالإحراج وسارعت إلى الاعتذار).

ارجع بمخيلتك إلى حالة كهذه واجهت فيها قدراً من الارتباك والإحراج نتيجة سوء فهم ثقافي، وبعد أن تفكر ملياً في الحادثة برمتها، هلها باستخدام الأسئلة التالية: لماذا كانت التجربة محرجة/ مربكة؟ ما الذي أسيئ فهمه؟ لماذا أسيئ فهمه؟ ما هي (بالتحديد) المنظورات المختلفة المؤثرة في تلك الحادثة؟ ما الذي تعلمت منها؟ إذا لم تتعلم شيئاً، أو إذا لم يتغير سلوكك البتة، فلم ذلك؟

إن تحليل تلك التجارب الشخصية أو التفكير في مضامينها قد يساعدك على تفهم استجابتك عندما دفعتك الاختلافات الثقافية إلى الشعور بالضيق والانزعاج - وهذا هو العنصر الرابع في تنمية قدرتك على التكيف الثقافي. استخدم تلك التجارب لاكتشاف الاختلافات التي سببت ردة فعلك.

غير سلوكك إذا كان ذلك ضرورياً بحيث تتصرف بطرق تخفف حدة النزاع، وتبني الثقة، وتبني الفاعلية الشخصية والمؤسسية.

مثل هذا التحليل لتجاربك واستجابتك يجعلك تلعب دور «الانثروبولوجي المتنقل»، حيث تراقب وتضع فرضياتك وتختبر أفكارك، وتعمل باستمرار على صقل وتشذيب ما تعلمته. استخدم المعلومات التي جمعتها من تلك العملية لفهم الحالة المحددة، والمنظورات الثقافية المتباينة للمشاركين، وحاول التوصل إلى قرار حول التصرف السليم، سواء في تلك الحالة أم في حالات مماثلة. بالطبع، ليس من السهل إتقان هذه العملية التحليلية، لكن الممارسة الدؤوبة ستساعدك على تطوير مستوى مهارة مقبولة.

ضع نفسك موضع «الانثروبولوجي المتنقل» واسترجع تجاربك الشخصية في أوضاع ثقافية مختلفة وتأملها بإمعان. دع جانباً لبرهة مشاعرك حول الموضوع وتجاه سلوك الشخص الآخر. اتبع الخطوات الثلاث التالية أثناء تذكر الحادثة: تقويم/ فرضية/ فعل - ويمكنك حفظها اختصاراً باسم: «ت. ف. ف.»، وتعمل على النحو الآتي:

التقويم: حاول أن تتذكر ما قاله الأشخاص المشاركون في الحادثة وما فعلوه. اكتب أو سجل ذكرياتك عما حدث وعن طريقة تفاعل الأشخاص المعنيين. ووصف سلوكهم كما تتذكره دون تأمل أو تخمين الأسباب الكامنة وراءه.

الفرضية: راجع توصيفاتك. لماذا برأيك حدث ما حدث وعلى ذلك النحو؟ من خلال ما تعرفه وماتعلمته عن الأبعاد الثقافية، فكر كيف يمكن أن تشكل تلك الأبعاد الأساس الذي تقوم عليه بعض أو كل مظاهر السلوك التي وصفتها، ثم سجل أو دون إجاباتك. هل فكرت أثناء الحادثة بالبواعث التي دفعت الأشخاص المشاركين إلى التصرف بتلك الطريقة؟ هل توقعت أن يتصرف سلوكهم في تلك الحالة؟ قارن بين استعراضك الأحداث (مستفيداً من تنامي وعيك الثقافي) وبين ذكراها لديك - هل تنظر إلى الحادثة بطريقة مختلفة الآن؟ هل كانت توقعاتك وتخميناتك في محلها، وما مدى قربها أو بعدها عن جدة الصواب كما تراها الآن؟

الفعل: توقع تصرفاتك في حالة مشابهة الآن، اعتماداً على معرفتك الحالية بالأبعاد الثقافية التي أدت إلى مختلف مظاهر ذلك السلوك. فكر بما فعلته آنذاك وبردود أفعال الآخرين تجاهه. هل توقعت تلك الاستجابات وقت حدوثها؟ ما هي البدائل التي كان بمقدورك القيام بها؟ ما ردود الأفعال التي كان يمكن أن تواجهها لو تصرفت بطريقة مختلفة في تلك

الفترة؟ عندما تبدأ باستخدام هذه العملية المفصلة وتطبيقاتها في الحالات الراهنة، اطرح أسئلة مشابهة، وتصرف بطريقة تساعدك على اختبار مدى صحة افتراضاتك.

إن استخدام مقارنة «ت. ف. ف.» في تقييم الحالات الراهنة والتفاعلات الماضية على حد سواء طريقة ممتازة، تعلمك من أخطائك وتجعلك أكثر قدرة على التكيف الثقافي. إذا كنت تعتقد أنك بحاجة إلى المزيد من التدريب على لعب دور «الانثروبولوجي المتقل»، يمكنك تطبيق طريقة «ت. ف. ف.» على حالات وأوضاع أخرى. تماماً كما تفحصت الأبعاد والتوقعات الثقافية لدى مشاهدة فيلم أجنبي، يمكنك أيضاً مشاهدة الفيلم ذاته واستخدام الخطوات الثلاث نفسها في تحليل أوضاع يتفاعل فيها أناس من ثقافتك الأم مع أشخاص من ثقافات وبلدان أخرى. بالطبع، معظم التفاعلات التي تشاهدها على الشاشة مسطحة ونمطية، لكنها تتيح لك فرصة التفكير بما يحدث ثقافياً في عملية التفاعل، وبما تتوقع حدوثه لو تصرفت بطريقة مغايرة لسلوك شخصيات الفيلم. وتتماماً كما تأملت حالاتك السابقة، قوم الحالة الموصوفة عبر مراقبة الممثلين وما يقومون به. ضع مجموعة فرضيات حول ما يحدث، اعتماداً على فهمك للاختلافات الثقافية المعروضة. فكر بما يمكن أن تفعله في مشاهد معينة، أو كيف يمكن للشخصيات أن تتصرف بطرائق مختلفة لتحقيق نتائج مختلفة.

كذلك يمكنك التدريب على منهجية «ت. ف. ف.» في أحاديثك اليومية، حتى مع أشخاص تشترك معهم ببعض الجوانب الثقافية الأساس. على سبيل المثال، قد تتيح محادثة تجربتها مع زميل من عرق أو جنسية أو فئة عمرية مختلفة فرصاً كثيرة لتقويم ووضع الفرضيات والتصرف بطرق تدعم وتطور ذكاءك الثقافي.